الظَّفَر

بوظائف شهر صفر

تفريغ خطبة جمعة

لأبي عبدالله

محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أحمد باجمال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الخطبة الأولى:

إن الحَمّد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة.

أيها المسلمون عباد الله: إن كثيرًا من الناس يتَخذون أشياء محدثة، ويبتكِرون عقائد مخترعة، تتعلق بالأيام، وتتعلق بالشهور، وتتعلق بالزمان والمكان، وتتعلق بالأوصاف والألوان، وإن هذا الدين جاء تصفيةً لهذه العقائد الفاسدة، ولهذه الأفكار الكاسِدة.

إن هذا الدين بَيَّن لنا: أن الحق بيد الله، وأن النفع أو الضُر بيد الله، وأن الخير والشر بيد الله سبحانه، وأن الله ﷻ يجعل ما يشاء سببًا للخير وسببًا للشر.

وإن من العقائدِ التي انتشرت في أوساط المسلمين:

ما يتعلق بشهر صفر، هذا الشهر الذي هو من أشهر الله ﷻ، إن شهر صفر لا يتعلق به فضلٌ أو سُفلٌ، لا يتعلق به خَيْرٌ أو شرٌ، و إنما هو كغيره من الشهور إلا ما خصهُ الدليل بما جعله الله ﷻ من الأشهر الحُرُم، أو فَضَّلَه ببعض الخصائص، أو ميزه ببعض المزايا، وإلا فالخير والشر بيد الله، ومن عند الله ﷻ.

أيها المسلمون عباد الله: إن شهر صفر -الذي بين المُحرم وربيع-، لماذا سمي بصفر؟.

قال الحافظ ابن كثير ﷺ في تفسير قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣٦] قال ﷺ نقلًا من كتاب "المشهور في أسماء الأيام والشهور" لعَلَم الدين السَّخَاوي، قال: صفر سُمي بذلك؛ لِخُلو بيوتهم منه حين يخرجون للقتال والأسفار، يُقال: «صَفِر المكان» إذا خلا، ويُجمع على أصْفارٍ، كجملٍ وأجمَال. انتهى كلامه.

فَصفر سُمي بهذا؛ لأن البيوت تخلو من الرجال الذين يخرجون للقتال، وللأسفار وللغارات.

شهر صفر: كان أهل الجاهلية -تلاعبًا منهم، واتباعًا لأهوائهم- يحرِمونه عامًا فيجعلونه بدل المُحرم، فيُحِلون الشهر المُحرم ويبدِلونه بِصفر.

ولهذا يقولون في المحرم و صَفر: «الصَّفرَانِ».

وَمِمَن شُهِرَ عنه في ذلك من المشركين: أبو ثُمامة جنادة بن عوف الكناني كان يُنادي الناس في الموسم -أي: موسم الحج-: أن شهر الـمُحَرَّم سيكون في شهر صفر، فيُحِلون الشهر المُحرم ويجعلون مكانه شهر صفر، وهذا من التلاعب، وكذلك كانت هَوَازِنُ وغَطَفَانُ و بنو سُلَيم تفعل، رُوي عن ابن عباس، وأبي وائل، ومجاهد، وقتادة، والضحاك وغيرهم.

وهذا من التلاعب بأشهر الله ﷻ.

والدافع لهم في ذلك: أنهم كانوا أهل غاراتٍ وقتالٍ يَتَأكلون به، فَيَغِيرون على بعضِ القبائل والقُرى فيأخذون من أموالهم ومن طعامهم ومن لباسهم ويرجعون به إلى بيوتهم.

فكانوا أهل غارات فرأوا أن توالِيَ ثلاث أشهرٍ مُحرمة يشُقُّ عليهم ويمنعهم من الوصول إلى بغيتِهم، فيَتكيفون؛ فإذا جاء شهر المُحرم، قالوا: جعلناه مكان صَفَر فَيُحِلونه، فإذا جاء شهرُ صَفر قالوا: هذا هو شهرُ المُحرم، فيتَلاعبون بذلك تلاعبًا .

وقد جاء في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كانوا يَرَوْن -يعني أهل الجاهلية- أن العُمرة في أشهر الحج من أفجر الفُجُور في الأرض، وكانوا يجعلون الـمُحَرَّمَ صفرًا، ويقولون: إذا برأ الدبرْ، وعفا الأثرْ، وانسلخ صفرْ، حَلَّتِ العمرة لمن اعتمرْ».

وهذا كله من التلاعب بأشهر الله ﷻ وهو المراد في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ [التوبة:٣٧].

أيها المسلمون عباد الله: إن نبينا ﷺ يقول: «**لا عَدْوَى، ولا صَفَر**»، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

وقد اختلف أهل العلم في قوله عليه الصلاة والسلام: «**ولا صفر**» على قولين:

القول الأول: أن صفر داءٌ في البطن كانت العربُ تقول لحيةٍ تكون في البطن: الصَّفَر، وأنها تُصيب الإنسان إذا جاع وتؤذيه، وأنها تُعْدِي، فجاء الإسلام بإبطال ذلك، فقال النبي ﷺ: «**ولا صفر**» أي: هو إبطال لِما يعتقدونه من وجود هذه الدودةِ أو الحية التي تصيب الإنسان إذا جاع وتؤذيه، وأنها تُعْدِي الغَيْرَ، وبنحو هذا فسره جابر بن عبد الله رضي الله عنهما كما في "صحيح مسلم"، وهو قول كثيرٍ من المتقدمين، وهو اختيارُ ابنِ عيينة، والإمام أحمد، والإمام البخاري، وغيرهم.

القول الثاني: قالوا: «**ولا صفر**» أي: شهر صفر، لكن اختلفوا في المراد منه.

فمنهم من قال: «**ولا صفر**» يعني بذلك: النَسِيء، وهو أنهم يجعلون الـمُحَرَّم صَفَرًا، وهذا قول الإمام مالك رحمه الله.

والوجه الثاني: قالوا معنى: «**ولا صفر**» أي: ليس بِشهر شُؤمٍ كما كان أهل الجاهلية يَرَوْن ذلك، وهذا حكاه أبو داود عن محمد بن راشد الـمَكحُولي عَمَّنْ سمعه يقول ذلك.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في "لطائف المعارف": ولعل هذا القول أشبه الأقوال. انتهى كلامه رحمه الله.

ولا مانع من أن يكون كلام النبي ﷺ يشمل جميع هذه المعاني؛ لأن نبينا ﷺ أُوتِيَ جوامع الكَلِم.

فقوله: «**ولا صَفَر**» هو ردٌّ على ما يعتقدون من تلك الدودة التي تكون في البطن، وأنها تصيب الإنسان إذا جاع وتؤذيه، وأنها تُعْدِي، **فقال**: «**ولا صفر**».

وأيضًا: يشمل ما يحصل من النَسيء من تأخير الـمُحَرَّم إلى صفر.

وأنه يشمل: ما يتشاءم به بعض الجاهلية من شهر صفر.

وشهر صفر يقع أهل الجاهلية فيه بأنواعٍ من التشاؤم، ولا يزال هذا باقيًا في أهل الجَهلِ، وضعفاء التوحيد، يتشاءمون من شهر صفر، ولهم في ذلك صور.

ومن صور تشاؤمهم: أنهم لا يسافرون في صفر، فإذا دخل شهر صفر يُؤخرون أسفارهم إلى بعد شهر صفر في ربيعٍ، ولا يسافرون في صفر تشاؤمًا من هذا الشهر، وهذا لا يجوز.

وهكذا من صور تشاؤمهم: أنهم لا يتزوجون في شهر صفر، ويَرْوُون عن النبي ﷺ حديثًا كذِبًا من قِبل أنفسهم: «**من تزوج في صفر فقد كفر**»، وليس هذا بحديث عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وهكذا أيضًا من صور تشاؤمهم في صفر: أنهم لا يبدؤون أَيَّ عملٍ في صفر، فأيُّ عملٍ يريدون البِدء فيه يُؤخرونه إلى بعد شهر صفر، كُلُّ هذا منهم على وجه التشاؤم من شهر صفر.

وهكذا غيرهم يتشاءم من صفر: بعدم الخِتَان فيه، فإذا كان له ولد لا يَخْتِنُ له في صفر تشاؤمًا بأنه إذا خُتِن سيتعرض لأمراض، وستكون حياتُه حياةً تعيسةً، فلهذا يُؤخرون خِتانَه إلى بعد صفر، وهذا لا دليل عليه.

فالواجب على المسلمين: أن يجعلوا شهر صفر كغيره من الشهور، فشَهر صفر لا شهرَ شرٍّ ولا شهرَ خَيْرٍ، وإنما هو كغيره من الشهور.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في "لطائف المعارف": أما تخصيص الشؤم بزمان دون زمان كشهر صفر أو غيره فغيرُ صحيح، وإنما الزمان كله خَلْقُ الله تعالى، وفيه تقع أفعال بني آدم، فكل زمان شغله المؤمن بطاعة الله فهو زمانٌ مباركٌ عليه، وكل زمان شغله العبد بمعصية الله فهو مشؤمٌ عليه، فالشؤم في الحقيقة هو معصية الله تعالى. انتهى كلامه رحمه الله.

وهو واضح؛ أن شهر صفر كغيره، فلا يكون شهر خيرٍ إلا بطاعة الله، ولا يكون شهر شرٍّ إلا بمعصية الله سبحانه وتعالى.

ولهذا جاءت طائفة تَرُد على المتشائمين بشهر صفر، فيأتي ويكتب «شهرُ صَفرِ الخير».

وهذه بدعة؛ فشهر صفر ليس مخصوصًا بالخير، وليس مخصوصًا بالشر، وإنما خيره شره بالطاعة والمعصية، والاستقامةِ والاعوجاج، والله عز وجل يقول: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠]، وقال سبحانه: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ﴾ [الروم:٤١]، وقال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف:٩٦].

فيا عباد الله: لا نُعَلِّقُ قلوبنا بِشهرٍ، ولا بيومٍ، ولا بزمانٍ، ولا بمكانٍ، ولا بلونٍ أو شكلٍ، وإنما نُعَلِّقُ قلوبَنَا بالله الذي بيدِهِ النفع والضُر، والذي بيدِهِ الشَّرُ والخيرِ ﷻ ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء:٧٨].

فَشهر صَفَر لا يملِكُ خيرًا ولا شرًّا، ولا نفعًا ولا ضُرًّا، وإنما هو شهرٌ كَغيرِهِ من الشهور.

فإذا أردتَ سَفَرًا فسافِر، وإن أردتَ نِكاحًا فَتزوج، وإن أردتَ عَمَلًا فابدأ به، وإن صادفتَ خِتانًا فاختن، وإن أدرت شيئًا من الأعمال التي تقوم بها في غيره فهو كَغيره، ليس شهرَ شُؤمٍ، ولا شهر خيرٍ، وإنما هو شهرُ شؤمٍ لمن أقامَ معصية الله، وأتى فيه بالبدَعِ والضلالات، وهو شهرُ شرٍ لمن عصى الله ﷻ، ولمن خالفَ شَرع الله ﷻ.

وهو شهرُ خيرٍ لمن أقامَ الطاعة والعبادة، وأقامَ الصلاح، واستقامَ على دينِ الله ﷻ، فبِذلك يَكُونُ الشهرُ شهرَ خير.

بل حتى في رمضان؛ إن العبدَ إذا كان في شهر رمضان من أهل العِصيان والطُغيان، ومن أهل الأعمال الفاسِدة، والأقوال الكَاسِدة، فإن هذا الشهر يُعتبر شؤمًا عليه؛ لأنه أقامَهُ بِمعصيةِ الله ﷻ، إذن الخيرُ والشر بالطاعةِ وبالمعصية.

فيا عبدَ الله! كُن مستَكثِرًا من الطاعة، مستكثِرًا من الخير، مستكثِرًا من الأعمال الصالحة، حتى يكونَ هذا الشهرُ شهرَ خيرٍ وبركةٍ، ويكونَ فيه النَّمَاءُ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله رب العالمين، وأُصلي وأسلم على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين:

أيها المسلمون عباد الله: وإن لأهل البدع من صوفية وغيرهم ألوانًا من البدع في شهر صفر، وعلى وجه الخصوص في آخر أربعاء من شهر صفر، فلهم عِدَّةُ بِدَعٍ:

من ذلك: أنهم يستَحِبون أن يُصليَّ المسلم أربع ركعاتٍ في آخر أربعاء من شهر صفر، ويقرأ في كل ركعةٍ بعد الفاتحة: سورة الكوثر سبعة عشر مرة، وسورة الإخلاص خمسة عشر مرة، ومنهم من يقول يقرؤها خمسين مرة، ويقرأ: سورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، وسورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ مرةً مرةً، فإذا انتهى من الصلاة دعا بما شاء، ويجعلون دعاءً خاصًّا بهذه الصلاة، وهذا من البدع.

ففي أيِّ كتابٍ وردت هذه الصلاة باسم الأربعاء من آخر شهر صفر؟!!.

وفي أيِّ حديث وردت هذه الصلاة في آخر أربعاء من شهر صفر؟!!.

وهكذا أيضًا من البدع: أنهم يجتمعون عصرَ آخر أربعاء من شهر صفر على أناشيد، وعلى أوراد، وعلى أدعية، وربما كان مصحوبًا -وهذا بلا شك-: بالقهوة، والبُخور، والماء، وغير ذلك.

وهذا كله من البدع، لا دليل عليه، فلماذا يُخصِصونه بهذا.

وهكذا أيضًا من صور البدع في آخر أربعاء من شهر صفر: أن منهم من يتقرب إلى الله ﷻ بالذبح، وهذا ذَبْحٌ مُبْتَدَعٌ.

وكذلك أيضًا من صور البدع في آخر أربعاء من شهر صفر: أنهم يكتبون آيات السلام كقول الله ﷻ: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات:٧٩] إلى آخره، ثم يأتون ويضعونها في كَوبِ ماءٍ حتى ينزل حِبرُها في ذلك الماء ويشربونه، أو يتبركون به، أو يتَهَادَوْن بأنه قد حصلت لهم السلامة.

وهكذا مما تَوَلَّد من التشاؤم بشهر صفر: ما يأتي في أول يومٍ في رجب، بما يُسَمَّى بعِيدِ السلامة.

فيا عبادَ الله: علينا بالحذر من البدع، ومن المحدثات، وعلينا أن نعبد الله ﷻ بما شرع، لا بالبدع، علينا بالاستقامة على دين الله ﷻ، ونَحْذَر من هذه الخرافات، والشَّطحات، والضلالات، والمحدثات، والمخترعات، التي تنافي الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة، من أجل أن تصلح القلوب، وتصلح الأسماع والأبصار، وتصلح الأديان والأخلاق، وتصلح الأحوال؛ فإن أحوال المسلمين لا تصلح إلا بالطاعة والعبادة والاستقامة على شرع الله ﷻ، واتباع الهدى، وتَرْكِ سُبُلِ الرَّدَى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد:١١].

فالحرصَ الحرصَ عبادَ اللهِ على الاستقامة على دين الله، وعلى شرعه، وأَلَّا تتعلق القلوب بما يَبُثُّه أهل الجاهلية، وما توارثه كثيرٌ من المسلمين جهَلًا منهم عن أهل الجاهلية.

نسأل الله ﷻ أن يعصمنا وإياكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن، سبحانك وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

كانت هذه الخطبة بمسجد الإمام الوادعي بالحوطة – شبام – حضرموت – اليمن في ٢٣ محرم/ عام ١٤٣٩هـ

تم تفريغه: يوم الثلاثاء الرابع من شهر صفر لعام ١٤٣٩ من الهجرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام